الحنفية بينهما لا تحتمل الجزئية والعدد بخلاف الواحد فيحتملها لانه يقال مائة واحدة والف واحد ولا يقال مائة احد
ولا الف احد وبنى على ذلك مسئلة محمد بن الحسن التي ذكرها في الجامع الكبير اذا كان له اربع نسوة فقال والله لا اقرب
واحدة منكن صار موليا منهن جميعا ولم يجز له ان يقرب واحدة منهن الا بكفارة ولو قال والله لا اقرب احداكن
لم يصر موليا الا من احداهن والبيان اليه وقال العسكري اصل احد اوحد مثل اكبر واحدى مثل كبرى فلما وقعا
اسمين وكانا كثيري الاستعمال هربوا الى الكسرة ليخف وحذفوا الواو ليفرقوا بين الاسم والصفة وذلك ان اوحد
اسم واكبر صفة والواحد فاعل من وحد يحد وهو واحد مثل وعد يعد فهو واعد سؤال قوله الله احد ولم
يقل الاحد كما قال الصمد جوابه ان الصمد يسمى به غير الله كما يأتي ذكره فأتى فيه بالالف واللام ليدل على انه سبحانه هو
المستحق لكمال الصمدية فان الالف واللام تأتي لاستغراق الجنس تارة ولاستغراق خصائصه اخرى كقوله زيد هو الرجل
الكامل في صفات الرجولية فكذلك قوله الله الصمد اي الكامل في صفات الصمدية واما الاحد فلم يتسم به غير الله فلم يحتج فيه
الى الالف واللام قوله الله الصمد اعاد الاسم المبتدأ تأكيدا للجملة وخبره الصمد وقيل هو نعت والخبر ما بعده والصمد اختلفت
عبارات السلف في معناه وهي متقاربة او متفقة والمشهور منها قولان احدهما ان الصمد هو السيد الذي يصمد اليه الخلق
في حوائجهم ومطالبهم وهذا مروي عن ابن عباس وغيره من السلف قال ابن الانباري لا خلاف بين اهل اللغة ان الصمد الانباريم
السيد الذي ليس فوقه احد الذي تصمد اليه الناس في حوائجهم وامورهم وقال الزجاج هو الذي ينتهي اليه السودد فقد
صمد له كل شيء اي قصد قصده وانشدوا لقد بكر الناعي بخير بني اسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد وانشدوا
ايضا علوته بحسام ثم قلت له خذها حذيف فانت السيد الصمد وفي تفسير ابن ابي حاتم باسناده عن عكرمة عن
ابن عباس قال الصمد الذي تصمد اليه الاشياء اذا نزل بهم كربة او بلاء وعن ابراهيم قال الذي يصمد اليه العباد في حوائجهم وعن
علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قال الصمد السيد الذي قد كمل في سودده والشريف الذي قد كمل في شرفه والعظيم الذي قد كمل
في عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه والعليم الذي قد كمل في علمه والحكيم الذي قد كمل في حكمته وهو الذي قد كمل في انواع
الشرف والسودد وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي الا له ليس له كفو وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار
القول الثاني ان الصمد الذي لا جوف له وانه الذي لا يأكل ولا يشرب او الذي لا حشوة له وانه الذي لا يدخل فيه شيء و
لا يخرج منه شيء ونحو هذه العبارات المتقاربة في المعنى وروي ذلك عن ابن مسعود وقد سبق في حديث ابي بن كعب المذكور
في اول تفسير السورة والصمد الذي ليس باجوف وروى ابن جرير وابن ابي حاتم من طريق عبيد الله بن سعيد قائد
الاعمش حدثني صالح بن حيان عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال قال الاعمش لا اعلمه الا قد رفعه قال الصمد الذي لا جوف له
وقال ابو عبد الرحمن السلمي عن ابن مسعود قال الصمد ليس له احشاء وروي عن ابن عباس ايضا وعن عكرمة الصمد الذي
لا يطعم وعنه الصمد الذي لم يخرج منه شيء وعن الشعبي الصمد الذي لا يأكل ولا يشرب وعن مجاهد هو المصمت الذي لا جوف له

وقالت

وقالت طائفة الصمد الذي لم يلد ولم يولد كأنهم جعلوا ما بعده تفسيرا له وهو ما تقدم انه الذي لم ينفصل منه شيء
وروي ذلك عن ابي بن كعب والربيع بن انس وتوجيه ذلك ان الولادة والتولد انما يكون من اصلين وما كان
عينا قائما بنفسه من المتولدات فلا بد له من مادة تخرج منه وما كان عرضا قائما بغيره فلا بد له من محل يقوم به
فالاول نفاه بقوله احد فان الاحد هو الذي لا كفو له ولا نظير فيمتنع ان يكون له صاحبة والتولد انما
يكون بين شيئين وكونه تعالى الصمد ليس احد كفوا له يستلزم انه لم يلد ولم يولد لان الوالد والولد متماثلان
متكافئان وهو تعالى احد لا كفو له وايضا فالتولد يحتاج الى زوجة وهي مكافئة لزوجها من وجه وذلك ايضا
ممتنع ولهذا قال تعالى انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وقد فسر مجاهد الكفو ههنا بالصاحبة واما الثاني
وهو انفصال المادة فنفاه سبحانه بانه الصمد وهذا المتولد من اصلين انما يتكون من جزئين ينفصلان من الاصلين
كتولد الحيوان من ابيه وامه بالمني الذي ينفصل منهما وكالنار المتولدة من بين الزندين سواء كانا خشبين
او حجرين او حجرا وحديدا وهو سبحانه صمد لا يخرج منه شيء منفصل عنه والحيوان نوعان متولد وهو ولد
من جنسه وهو الانسان وما يخلق من ابوين من البهائم والطير وغيرهما ومتولد وهو ما يخلق من غير
جنسه كدود الفاكهة والخل وكالقمل المتولد من الوسخ والفار والبراغيث وغير ذلك مما يخلق من التراب والماء
وانما يتولد من اصلين ايضا كما خلق آدم من تراب وماء والا فالتراب المحض الذي لم يختلط به ماء لا يخلق
منه شيء لا حيوان ولا نبات والنبات جميعه انما يتولد من اصلين ايضا والمسيح عليه السلام خلق من مريم ونفخ
جبريل وهي حملت به كما تحمل النساء وولدته ولهذا يقال له ابن مريم بخلاف حواء فانها خلقت من ضلع آدم
فلا يقال له ابوها ولا هي ولده وكذلك سائر المتولدات من غيرها كما ان آدم لا يقال انه ولد التراب
والمتولد من جنس اكمل من المتولد من غير جنس ولهذا كان خلق آدم اعجب من خلق اولاده فاذا نزه
الرب عن المادة الكمل وهي التي تولد من النظير فتنزيهه عن تولد من غير النظير اولى كما ان تنزيهه عن الكفو تنزيه
له عن ان يكون له غيره افضل منه بطريق الاولى فتبين انما يقال انه متولد من غيره من الاعيان القائمة بنفسها
لا يكون الا من مادة تخرج من ذلك الوالد ولا يكون الا من اصلين والرب تعالى صمد فيمتنع ان يخرج
منه شيء وهو سبحانه لم يكن له صاحبة فيمتنع ان يكون له ولد واما تولد الاعراض كتولد الشعاع وتولد
العلم عن الفكر والشبع عن الاكل والحرارة عن الحركة ونحو ذلك فهذا ليس من تولد الاعيان ومع هذا
لا بد له من محل ولا بد له من اصلين كالشعاع فانه يحتاج الى محاذاة جسم نوري بجسم آخر يقابله فينعكس عليه
شعاعه فقد تضمنت هذه السورة العظيمة نفي نوعي الولد عن الله احدهما التماثل وقد دل على نفيه قوله تعالى ولم يكن له
كفوا احد مع دلالة قوله قل هو الله احد على ذلك لان الاحدية تقتضي انه متفرد بذاته وصفاته فلا يشاركه في ذلك احد

Copyright © King Saud University